

# آراء العلماء في الترتيب المصحفي وحقيقة دعوى إعادة ترتيب المصحف حسب النزول

الأستاذ رياض عمير اوي  
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص:

الحمد لله الذي خصنا بحير كتاب أنزل، وبخير نبي أرسل، وحضانا، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾<sup>1</sup> وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو يجير ولا يجار عليه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ عن ربه رسالته للعالمين، وأنزل معه كتابا مبينا، وتعهد الله بحفظه من التزييف والتحريف، فقيض لذلك رجالا، وعلماء يدافعون عن هذا الموروث الديني الثقافي؛ المتمثل في دستور المسلمين، وهدى الأمة الإسلامية قاطبة، ويدبون عنه البدعة والتغيير، والغلو والتحقيق، والتحريف والتزييف، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>2</sup>، فكان القرآن الكريم معجزة المعجزات؛ فهو معجز في بلاغته، وفي أسلوبه، وفي طريقة تناوله لشتى الموضوعات، ومعجز في ترابطه، وتناسب آياته وسوره، وترتيبه... إلى غير ذلك من أوجه الإعجاز التي تحدث عنها العلماء والمفسرون في كتبهم ومقالاتهم.

<sup>1</sup> - سورة آل عمران، الآية 110.

<sup>2</sup> - سورة الحجر، الآية 09.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

ولما تصفحت بعض كتب المستشرقين لأرى مداخلهم للتشكيك في كتاب الله، وزعزعة اطمئنان المسلمين اتجاه كتاب ربهم، راعني أن بعض المسلمين قد انجروا وراء دعوى؛ أحسبها تمز كيان المسلمين، وتفتح لهم باب غواية، وباب ضلال يتخبطون فيه لا يجدون لأنفسهم منه مخرجا أبدا، خاصة إذا تعلق الأمر بأقدس كتاب عندهم، فأردت أن أبين حقيقة هذه الدعوى، وغرضها، وأبين خطورتها وأدحض حججهم، وأحذر من مغبة الانسياق وراء مثل هذه الدعاوى المغرضة، لا سيما إذا تعلق الأمر بديننا الذي هو عصمة أمرنا، وبه نجاتنا، وفلاحنا في الدارين الدنيا والآخرة.

فكتبت في ذلك مقالا عنوانه: "آراء العلماء في ترتيب القرآن وحقيقة دعوى إعادة ترتيبه" أتمنى أن يفيد القارئ الكريم، ليحذر كل مؤمن من الوقوع في مثل هذا الشرك عن حسن نية، أو تأثرا ببعض من ينادي بالافتتاح، التطور، في إطار المناهج الحديثة دون تريث، ودون خطوات علمية مدروسة، فقسمته إلى مبحثين كبيرين:

1- المبحث الأول: آراء العلماء في ترتيب المصحف

وفيه مطلبان: المطلب الأول: ترتيب الآيات

المطلب الثاني: ترتيب السور

2- المبحث الثاني: الترتيب النزولي للقرآن الكريم

وفيه مطلبان: المطلب الأول: حقيقة دعوى إعادة ترتيب المصحف حسب النزول

المطلب الثاني: تفسير ورد هذه الشبهة

### **Abstract:**

When i flicked over some of the orientalist's books and read about their doubts concerning the holy book «the Quran » and how they shook the tranquility of Muslims towards their book, I realized that it is worth clarifying that such ideas are dangerous and affect Muslims' beliefs.

In the present article I have tried to make it clear to muslims showing the dangers such claims entail. I also warned Muslims to be careful and do not follow what harms our religion which is our guide towards success in this life and the hereafter.

## المبحث الأول: آراء العلماء في ترتيب المصحف

### المطلب الأول: الإجماع على ترتيب الآيات

#### أولاً: نقل إجماع الأمة

أجمعت الأمة الإسلامية على أن ترتيب الآيات في سورها على ما هو عليه المصحف اليوم توقيفي بأمر من النبي ﷺ، فقد كانت الآيات تنزل عليه، وجبريل يدلّه على مواضعها، ويبلغها رسول الله صحابته، ويأمر كتاب الوحي بنسخها في مواضعها، وكان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان كل عام مرة، حتى عارضه في السنة التي توفي فيها رسول الله مرتين مرتبا الآيات كما هي عليه الآن، وقد حفظه الصحابة بعده وأجمعوا على هذا الترتيب<sup>1</sup>.

ولقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع في ذلك، فلقد جاء في البرهان للزركشي قوله: «فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها»<sup>2</sup>، وممن نقل الإجماع أيضا حول هذه المسألة أبو جعفر بن الزبير الغرناطي، حيث قال: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم، وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد أحمد القاسمي: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، ط1، 1979م، مصر، ص244.

<sup>2</sup> - الزركشي البرهان في علوم القرآن، دار النشر بيروت، (د، ط)، ج1، ص256.

<sup>3</sup> - ابن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، سنة: (1410هـ/1990م)، ص182.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

فالإجماع والنصوص المترادفة كلها على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، قال مكي<sup>1</sup> وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بدون بسملة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان الرسول بأمر من جبريل ﷺ يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا»<sup>2</sup>، ويقول السيوطي: «والذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيئا، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه، ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولم يؤخر مقدم، وأن الأمة ضبطت على النبي ﷺ ترتيب أي كل سورة وموضعها وعرفت موقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات، وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سورته، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه»<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> - هو مكي بن أبي طالب حمش بن محمد بن مختار، أبو سمر القيسي، كان من أهل التبصر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنا لذلك، توفي سنة: 473هـ، انظر ابن بشكوال، الصلة: ق2، ص631.

<sup>2</sup> - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زوملي، دار الكتاب العربي، 2004م، بيروت، ص163.

<sup>3</sup> - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص163.

### ثانيا: أدلة هذا الإجماع:

وأما الروايات التي تعضد هذا الإجماع الذي ينص على أن هذا الترتيب توقيفي، فهي من الكثرة بما كان، فلقد قال زيد: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع»<sup>1</sup>، وأخرج أحمد وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن ابن عباس قال: «قلت لعثمان: ما حملك على أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من الثاني، وإلى برآة وهي من المثين، ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا بينها سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال، فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ﴿ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا﴾، وكانت الأنفال أول ما نزل في المدينة، وكانت برآة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ، ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك فرقت بينهما، ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما في السبع الطوال»<sup>2</sup>.

وأخرج أحمد بن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ، إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: ﴿أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع

<sup>1</sup> - رواه الترمذي تحت رقم: 3954، والإمام أحمد في المسند، ج5، ص 184، وابن أبي شيبة، برقم: 32466، في ج5، ص 157، وابن حبان: 114، والبيهقي في الدلائل، ج7، ص 147، كلهم عن زيد بن أبي ثابت رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ضعيف رواه الترمذي (3088)، وأبو داود (786-787)، والنسائي في السنن الكبرى تحت رقم: (8007)، والإمام أحمد في المسند، ج1، ص 57-69، ورواه الحاكم النيسابوري: ج2، ص 221-330، ابن حبان (43)، وابن أبي داود في المصاحف، ص 31، والبيهقي: ج2، ص 42.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...﴾<sup>1</sup>، إلى آخرها...<sup>2</sup>، ويكفي في هذا الباب الرجوع إلى أحاديث فضل بعض الآيات من السور في كتب التفسير، كحديث فضل أواخر سورة البقرة<sup>3</sup>، والعشر آيات في بداية الكهف<sup>4</sup>، ومما واضب عليه رسول الله ﷺ في قراءته لبعض السور لم يغير منهن شيئا، لا بتقدم ولا بتأخير، في آياتها كقراءة سورة البقرة، وسورة النساء، وآل عمران، وقراءته، لسورة "ق" في العيد<sup>5</sup>، والمنافقون في الجمعة<sup>1</sup> بالترتيب نفسه في الآيات لم يختلف عليه أحد.

---

<sup>1</sup> - سورة النحل: الآية 90.

<sup>2</sup> - رواه أحمد في المسند: ج4، ص 218، وفي سننه ليث وهو صدوق، اختلط، ولم يتميز حديثه، فترك، أنظر: التهذيب: ج4، ص 369.

<sup>3</sup> - رواه مسلم في صحيحه برقم: 809، وأبو داود (4323)، والترمذي برقم: (2886)، والنسائي برقم: (10784-8025)، وأحمد في مسنده: ج5، ص 196، وج6، ص 449-446، وابن السني عي عمل اليوم واللييلة: برقم (676)، والمحامي في الأمالي، برقم: (356)، وأبو عبيد، وغيرهم.

<sup>4</sup> - رواه البخاري في صحيحه برقم: (5008-5009-5040)، ومسلم برقم: (807)، وأبو داود برقم: (1397)، والترمذي برقم: (2881) والنسائي في عمل اليوم واللييلة برقم: (718-719)، وابن ماجه في سننه برقم: (1368-1869)، والدرامي برقم: (3388)، وأحمد في المسند: ج4، ص 118، وابن حبان برقم: (781)، والبغوي في شرح السنة برقم: (1199) في الفضائل ص 132، وابن الضريس، في فضائل القرآن، ص 92، وابن حبان برقم: (785)، والبيهقي في الشعب، ج2، ص 474)، والبغوي في تفسيره، ص 187، وفي الشرح برقم: (1204).

<sup>5</sup> - رواه مسلم برقم: (891)، وأبو داود برقم: (1154)، والترمذي برقم: (534-535)، والنسائي ج3، ص 183، وابن ماجه برقم: (1282)، ومالك برقم: (8)، ج1، ص 180، وأحمد ج5، ص 217، وابن حبان برقم: (2820)، والبغوي برقم: (1107).

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

وهذا من أوضح الأدلة على أن هذا الترتيب الذي رتبته الله عليه ولأجله كان النبي ﷺ يدلهم على موضع السورة من القرآن، والآية من السورة: ليكتب ويحفظ على نظمه وترتيبه.

وأنبه أن في القرآن آيات ذكر فيها الناسخ مقديما في ترتيب التلاوة على المنسوخ، كآية: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية﴾<sup>2</sup> بعد قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتريصن بأنفسهن...﴾<sup>3</sup>، خلافا ليقوله أبو مسلم<sup>4</sup> أن تلك في الوصية إذا أقمن فلهن السكنى، والنفقة حولاً، فإن خرجن فعليهن في النكاح إذا مضت المدة المفروضة، وهذا قول مجاهد<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> - رواه مسلم برقم: (877)، وأبو داود برقم: (1124)، والترمذي في سننه برقم: (5109)، وابن ماجه برقم: (1118)، وأحمد في المسند: ج2، ص 429، وابن خزيمة برقم: (1843)، وابن حبان برقم: (2806)، والبخاري (1088)، وكلهم من حديث أبي هريرة.

<sup>2</sup> - سورة البقرة، الآية 240.

<sup>3</sup> - سورة البقرة، الآية 234.

<sup>4</sup> - هو الفقيه العابد ربحانة الشام روى عن عمر ومعاذ، وأبي عبيدة، وحدث عن أبي إدريس الخولاني، وأبو العالية الرياحي، وجبير بن نفير، وعطاء، وأبو قلابة، توفي سنة 62هـ في دولة يزيد. انظر: سير أعلام النبلاء: ج4، ص 449.

<sup>5</sup> - هو الإمام أبو الحجاج المخزومي المقرئ المفسر الحافظ ولي السائب ابن أبي السائب، سمع سعدا، وعائشة، وأبا هريرة، وأم هانئ، ولزم ابن عباس مدة وأخذ عنه، وروى عنه قتادة، والحكم بن عتيبة، وعمرو بن دينار، ومنصور الأعمش، وتوفي سنة 103هـ عن عمر يناهز 83 سنة. انظر: كشف الظنون، ص 501.



آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

روى البخاري قال: قال ابن الزبير<sup>1</sup>: قلت لعثمان بن عفان: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾، قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها، قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه، - يعني لم تكتبها وقد علمت أنها منسوخة- أو قال: لم تدعها مكتوبة- شك من الراوي، وفي جواب عثمان دليل على أن ترتيب الآي توقيفي، وكأن عبد الله بن الزبير ظن أن الذي يُنسخ حكمه، لا يُكتب، فأجابه عثمان: بأن ذلك ليس بالأزم، والمتبع في التوقيف، ومعنى هذا الكلام أن تمام السنة على أربعة أشهر وعشراً، إنما هو بالوصية، إن شاءت سكنت في بيتها، وإن شاءت خرجت... ثم جاء الميراث فنسخ السكني، فتعدت حيث شاءت، فلا سكتي لها<sup>2</sup>.

وقد اكتظت كتب الحديث بالإشارة إلى هته الفكرة وما كان فيه تعارض من هذه النصوص والآثار المنقولة- على قلته- فهو إما ضعيفا لا يُأبه له، أو مؤولا بعيدا لا يعتد به، ولا يقوم مقام الآثار الصحيحة التي تثبت توقيفية آي القرآن.

---

<sup>1</sup> - هو عبد الله بن الزبير بن أبي العاص بن العوام بن خويلد، الأسدي القرشي، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وكنيته أبو حبيب، وأبو بكر، ولد بالمدينة المنورة في السنة الثانية للهجرة، وهو أول مولود من المهاجرين في المدينة، كان له صحبة، حيث يُروى في مسنده ثلاثٌ وثلاثون حديثاً، وكان ممن روى عنه: والده، وحده لأبيه، وخالته السيدة عائشة، وقد روى عنه أبناؤه، وأحفاده، وجماعة من التابعين، كان عالماً زاهداً، وقتل في شهر جمادى الأولى سنة: 73هـ، وعمره بضع وسبعون سنة. انظر أعلام النبلاء ج3، ص 213.

<sup>2</sup> - انظر العسقلاني: فتح الباري، (مصدر سابق)، ج8، ص 155، و- السيوطي، الإتيقان، (مصدر سابق)، ص 523.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

ونختم هذا الكلام بأن الصحابة رضوان الله عليهم جمعوا القرآن كما هو عن رسول الله ﷺ، من غير تقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقصان على الترتيب الإلهي بتوقيف جبريل عليه السلام، وإعلامه بوضع الآية من السورة.

### المطلب الثاني: ترتيب السور

إذا كانت النصوص قد ترادفت على أن ترتيب الآيات في السور كان بأمر من النبي ﷺ، وتوقيف من المولى تبارك وتعالى بواسطة جبريل عليه السلام، فهل الأمر كذلك بالنسبة لترتيب السور؟ أم هناك آراء أخرى؟ وإن كانت هناك آراء أخرى فما هي أدلة كل رأي منها؟

لقد أشار الشيخ ابن الزبير في كتابه: "البرهان في ترتيب سور القرآن" إلى أن ترتيب السور في القرآن فيه خلاف بين أهل العلم على خلاف ترتيب الآيات، فيقول: «... وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه، وكما ثبت في مصحف عثمان بن عفان الذي بعث بنسخه<sup>1</sup> إلى الآفاق، وأطبقت الصحابة على موافقة عثمان في ترتيب سوره وعمله

---

<sup>1</sup> - والراجح أنها أربع نسخ، وقال أبو عمر الداني في: "المقنع في رسم القرآن، ص 10 «قيل أربع وقيل خمس، والأول أصح، وعليه الأمة». انظر: السيوطي الإتيقان، ص 159، و-الزركشي: البرهان، ج1، ص 240. والداني هو: الحافظ الإمام شيخ الإسلام، أبو عمر عثمان بن سعيد الأموي، مولاهم القرطبي المقرئ، صاحب التصانيف، عُرف بالداني لمسكنه بدانية، قال: «ولدت سنة: 371هـ، وبدأت طلب العلم سنة: 386هـ، ورحلت إلى المشرق سنة: 397هـ، وسكنت القيروان أربعة أشهر، ودخلت مصر في شوال فمكنت بها سنة، ثم حججت، ورجعت إلى الأندلس في ذي القعدة سنة: 399هـ»، قرأ على عبد العزيز بن جعفر الفارسي، وابن غلبون، وسمع من أبي مسلم، واليزار، وابن النحاس، كان أحد الأئمة في القراءات، ورواية الحديث والتفسير، كان مالكي المذهب، له 120 مصنف، كانت وفاته بدانية في النصف من شوال، سنة 444هـ. مقدمة كتاب التيسير.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

فيه»<sup>1</sup>، ثم قال: «فكيفما دار الأمر فمنه صلى الله عليه وسلم عُرفَ ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر»<sup>2</sup>، وإنما الخلاف وقع في فعلهم في ترتيب السور هل كان بتوقيف قولي، أو بمجرد استناد فعلي حيث بقي لهم فيه مجال نظر؟ وحتى لو كان هذا الأمر اجتهادا من الصحابة، فإن الأمر مسلم فيه أيضا، لأنه لا يوجد من هو أفصح، وأعلم بكتاب الله، وبآياته، وسوره، ونزوله من الصحابة رضي الله عنهم، كما أنهم أعملوا في ذلك اجتهادهم الأقصى، وهم الأعلیاء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه، وفهمه، وهم العارفون بأسباب النزول، ومواقع الكلمات، وإنما ألقوه على ما كانوا يسمعون منه، وهو رسول الله ﷺ، وقد كان نظرهم هذا في ما استقر عليه النبي ﷺ من كان فعله الأكثر، والسند في ذلك بان الترتيب في السور قد روعي فيه التناسب، وإن كان لم يُراعى فيه أسباب النزول، وزمانه ومكانه، بأدلة، وأحاديث رويت منها في صحيح مسلم<sup>3</sup>، وما روى في مصنف ابن أبي شيبة<sup>4</sup>، وما نُقل عن الخطابي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن الزبير الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، (مصدر سابق)، ص 182.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 183.

<sup>3</sup> - إشارة إلى حديث حذيفة في صلاة القيام، وطرفه: ﴿استفتح رسول الله (ص) البقرة فقلت: يركع عند المائة﴾ وقد سبق تخريجه.

<sup>4</sup> - إشارة لحديث أن قراءته في صلاة الجمعة، بسورة الجمعة، والمنافقون. سبق تخريجه أيضا.

<sup>5</sup> - هو الإمام أحمد بن إبراهيم ابن الخطاب السبتي، أبو سليمان الفقيه، المحدث اللغوي، وله عدة مصنفات، من آثاره: "معالم السنن"، و"إصلاح غلط المحدثين"، و"غريب الحديث" وله شرح على البخاري، توفي سنة: 388هـ. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص 1018، حيث نُقل عنه قوله: «أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق، واستدلوا بذلك على أن المراد بما الكتابة في قوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ القدر آية1، إشارة إلى قوله: إقرأ».

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميرايوي

والقاضي ابن العربي<sup>1</sup>، والتأمل بالعقل في ذلك التناسب الموجود بين عدة سور كالأفعال، وبراءة، والتناسب الموجود بين الطلاق، والتحريم، والضحي، والشرح... مما لا يتوقف في وضوحه من له أدنى نظر، كما نقل عن أبي محمد بن عطية<sup>2</sup> قوله بتفصيل في المسألة، وساق له ابن الزبير في كتابه البرهان بعض ما يؤيد هذا الرأي، منه قول رسول الله ﷺ: ﴿إِقْرَأُوا الزَّهْرَانَ الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ﴾<sup>3</sup>، وحديث يؤتى بالقرآن يوم القيامة تقدمه سورة

---

<sup>1</sup> - ابن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي، المالكي، ولد بالأندلس، ورحل إلى المشرق، وعاد إلى وطنه سنة 491هـ، وتولى القضاء، وذكر ابن بشكوال في الصلة أن له مصنفات عديدة منها: "عارضه الأحوذى" و"أحكام القرآن" و"العواصم، وشرح موطأ مالك، و"قانون التأويل"، توفي سنة: 543هـ بفاس، ونُقل عنه قوله: «..وهذا بديع جدا، قلت ومن ظن ممن اعتمد القول بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، أنهم لم يراعوا في ذلك التناسب، والاشتباه، فقد سقطت مخاطبته، وإلا فما المرامي في ترتيب النزول؟ وهو غير واضح في ذلك بالقطع، بل هذا معلوم في ترتيب آي القرآن الواقع ترتيبه بأمره عليه الصلاة والسلام، وتوقيفه بغير خلاف...». انظر ابن الزبير، البرهان، ص 184. أنظر: - تاريخ قضاة الأندلس، ص 105.

- نفع الطيب، ج2، ص 199.

- الأعلام، ج6، ص 230.

<sup>2</sup> - هو عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي الحاربي الغرناطي، كان فقيها نبيها مفسرا أديبا شاعرا ذكره صاحب الصلة، وقال: كان مولده سنة: 481هـ، وتوفي في 25 رمضان، سنة 541هـ، بمدينة يورقة، من أشهر مصنفاته: "المحرر الوجيز" انظر: تاريخ قضاة الأندلس، ص 109. و- الأعلام، ج3، ص 282.

<sup>3</sup> - رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، برقم: (804) من حديث معاوية بن سلام عن أخيه زيد، ورواه الحاكم في المستدرک، كتاب: فضائل القرآن،

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

البقرة<sup>1</sup>، وحديث: صلى رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة<sup>2</sup>، وحديث كان يجمع المفصل في ركعة<sup>3</sup>، وحديث رواه البخاري من طريق عائشة: ﴿أن النبي كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة قرأ المعوذتين...﴾<sup>4</sup>، وكأنه يؤيد الرأي القائل بأن ترتيب السور، إن لم يكن رسول الله ﷺ، قد أمر به بلسان المقال، فإنه قد أشار إليه بلسان الحال، وهو ما كان عليه أكثر عمله، وأن العبرة بما ورد على الأكثر والإجمال، لا على القلة والتفصيل، وقليل بقي فيه الخلاف.

وإليك أخي القارئ تفصيل ذلك في ثلاثة مذاهب سلكها العلماء:

يقول الدكتور أحمد يوسف القاسم: «للعلماء في ترتيب السور مذاهب ثلاثة، فمنهم من يقول أن الترتيب اجتهادي، ومنهم من يقول إن البعض بالتوقيف، ثم يختلف

---

أخبار في فضل سورة البقرة، برقم: (2071)، ورواه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة البهلي، برقم: (21710 / 21642 / 21653)، و- في شعب الإيمان فصل في إدمان تلاوة القرآن برقم: (1980).

<sup>1</sup> - رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن الكريم، برقم: (805)، ورواه أحمد في المسند من حديث النواس بن سمعان، برقم: (17185)، ورواه في الشعب، الكتاب: التاسع عشر، باب: تعظيم القرآن برقم: (2373).

<sup>2</sup> - ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية بندي بازار بومباي، الهند، في كتاب: الصلوات في الرجل يقرن السورة في الركعة، ج1، ص 367.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه: ص 368.

<sup>4</sup> - أخرجه البخاري، ج9، ص 62، وأبو داود في سننه برقم: (5056)، والترمذي في الجامع ج4، ص 231، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (788)، وابن ماجه برقم: (3875)، وأخرجه الإمام أحمد ج6، ص 116-154، وابن حبان برقم: (5543-5544).

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراي

هؤلاء في التحديد، ومنهم من يقول إن الترتيب توقيفي<sup>1</sup>، ونحن نسجل في ذلك حيرة السيوطي حينما يتساءل في الإتيان عن ترتيب السور فيقول: «... وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضاً، أو هو اجتهاد من الصحابة، فيه خلاف»<sup>2</sup> ويقول ابن الزبير الغرناطي: «... وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه»<sup>3</sup>، يعني في المصحف العثماني، وما تعارف عليه الناس من هذا الترتيب الذي استقر عليه رأي الصحابة، والأمة جميعاً.

### القائلون بالاجتهاد:

وهم الجمهور، ومنهم:

1- أبو الحسين أحمد بن فارس<sup>4</sup>: حيث قال ما نقله عنه السيوطي: «قال جُمع

القرآن على ضربين، أحدهما: تأليف السور، كتقديم السبع الطوال، وتعقيبها بالمتين، فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضوان الله عليهم، وأما الجمع الآخر فضم الآي بعضها إلى بعض، وتعقيب القصة بالقصة، فذلك شيء تولاه رسول الله ﷺ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل»<sup>5</sup>، فهو يقسم طريقة جمع القرآن إلى قسمين، ويفرق بين ما جُمع

<sup>1</sup> - أحمد يوسف القاسم ، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 257.

<sup>2</sup> - السيوطي، الإتيان، (مصدر سابق)، ص 164.

<sup>3</sup> - ابن الزبير، البرهان، (مصدر سابق)، ص 182.

<sup>4</sup> - هو أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكرياء بن محمد بن حبيب اللغوي الرازي، صاحب المجمل في اللغة، وكان مقيماً بمهمدان، وله رسائل حسان، أخذ عنه البديع صاحب المقدمات الهمداني بديع الزمان، قال ابن خلكان: توفي سنة: 390، وقيل سنة: 395هـ، والأول أشهر. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 335، و- أجد العلوم، ج3، ص 6.

<sup>5</sup> - السيوطي، الإتيان، (مصدر سابق)، ص 164.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

على أساس الشكل، فقتقدم الطول على القصر، وما جُمع على أساس مراعاة المضمون، كتعاقب القصة بعد القصة، والآية بعد الآية.

## 2- القاضي عياض<sup>1</sup>: حيث كان واضحا تماما في موقفه، وربما كان أوضحهم

جميعا، حتى رتب على هذا الرأي أموراً أخرى، كجواز تنكيس السور في الصلاة، وغيرها، ونقل عنه يوسف القاسم قوله: «إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة، ولا في الصلاة، ولا في الدرس، ولا في التلقين والتعليم، وأنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص، ولا حد تُحرم مخالفته، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان\*<sup>2</sup>، إذ ينبغي بشدة ورود أي دليل عن النبي ﷺ في تحديده، أو حتى إشارة إلى أن ترتيب السور أمر من الله تعالى، وحوز تنكيسه في أي حالة كان عليها القارئ سواء في الصلاة، أو في الدرس، أو غيره.

---

<sup>1</sup> - هو ابن محمد بن القاضي عياض، بن موسى اليحصبي، السبتي، النحوي، قال عنه ابن الزبير: «ولد سنة: 584هـ، وأخذ عن أيوب بن عبد الله الفهري، وأخذ بالجزيرة الخضراء كتاب سيويه، وتفقه عن أبي القاسم عبد الرحمن بن علي النحوي، وأخذ بها "الإيضاح" لأبي علي الفرسى، وأجيز سنة: 598هـ، وولي القضاء بغرناطة، إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة: 655هـ، وتوفي أبوه عياض الفقيه سنة: 630هـ، بمالقة». انظر: - سير أعلام النبلاء، ج20، ص 219. وكذلك تاريخ قضاة الأندلس، للمراكشي.

\* - يقصد بعض مصاحف الصحابة: مثل مصحف أبي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم...

<sup>2</sup> - محمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني، ص 257.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

**3- الإمام مالك<sup>1</sup>:** وقد رأينا طرفا من رأيه سابقا، حيث يقول: إنما ألّفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ، مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم<sup>2</sup>. ولعله قصد "بما سمعوا منه"، الآيات في السور، وليس ترتيب السور نفسها. والله أعلم.

**4- القاضي أبو بكر الباقلاني<sup>3</sup>:** في أحد قوليّه، حيث يقول: «يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة»<sup>4</sup>، حيث صرح باحتمال أن يكون ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، وكأنه لم يقف على أدلة تشفي العليل، وتروي الغليل في ذلك، ولهذا هو يتزحج بين قولين، وهذا أحد قوليّه كما أسلفنا، ثم يواصل فيقول: «وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه، مع

---

<sup>1</sup> - هو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، من ذري أصبح من حمير المدني، أحد أعلام الإسلام، وإمام دار الهجرة، سَمِعَ نافعاً، والرهوي، وهشام بن عروة، وغير واحد من التابعين، وعنه من شيوخه الزهري ويحيى الأنصاري، وخلق كثير، له ألف حديث، وله كتاب الموطأ، وهو أول مؤلفا في الإسلام، ولد سنة: 93هـ، وتوفي سنة: 179هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان.

<sup>2</sup> - ابن الزبير الغرناطي، البرهان، (مصدر سابق)، ص 183.

<sup>3</sup> - هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، قاض من علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في المذهب الأشعري، ولد في البصرة، وسكن بغداد في العقد الرابع من القرن الرابع الهجري، من مؤلفاته: "الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلالة" وكتاب: "كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الكفر والعناد، و"التمهيد"، وكتاب: "الإمامة"، و"الأصول الكبير في الفقه" و"إعجاز القرآن" وغيرها. أنظر: كتاب الباقلاني وكتابه القرآن، دكتور عبد الرؤوف مخلوف، منشورات دار مكتبة الحياة، 1998، بيروت، المقدمة. و- المعلم بفوائد مسلم: ج1، ص 527.

<sup>4</sup> - القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 258.



آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك»<sup>1</sup>، ولقد حكا عنه الإمام السيوطي<sup>2</sup> في الإتيان قوله: «إن الأمة ضبطت عن النبي (ص) ترتيب آي كل سورة، ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه، فقال: وهذا الثاني أقرب»<sup>3</sup>، ومن هؤلاء أيضا القائلين بهذا الرأي الإمام البقاعي<sup>4</sup>، والإمام الحرالي<sup>5</sup>، وابن الزبير الغرناطي، وجمهور العلماء كما قال السيوطي، ودليل هؤلاء جميعا هو:

**أولا:** الحديث الذي رواه مسلم، والنسائي عن حذيفة، حيث قال: ﴿صليت مع النبي(ص) ذات ليلة، فافتتح بالبقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في

<sup>1</sup> - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، (مصدر سابق)، المقدمة، باب: ذكر جمع القرآن، ص 49.

<sup>2</sup> - هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد، بن سابق الدين، بن عثمان بن الشيخ همام الدين الخضير السيوطي الشافعي، ولد يوم الأحد، بداية رجب سنة: 849هـ، وكان أشعريا صوفيا، عالما جليلا أدبيا فقيها، محدثا تاريخيا، يقول عن نفسه: رُزقت التبخر في سبعة علوم، توفي ليلة الجمعة من جمادى الأولى سنة 918هـ. انظر: -مقدمة طبقات المفسرين للسيوطي.

<sup>3</sup> - السيوطي، الإتيان، (مصدر سابق)، ص 163.

<sup>4</sup> - هو العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، المحدث المفسر الأديب المؤرخ، ولد سنة: 809هـ، في قرية "حربا روحا" بالقرب من دمشق، وكان كثير الترحال، توفي سنة: 885هـ، في ليلة السبت 18 رجب، ودفن خارج دمشق، من جهة قبر عاتكة. انظر البدر الطالع، ج1، ص 21.

<sup>5</sup> - هو أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي الصوفي المالكي المتوفى سنة: 637هـ. انظر كشف الظنون: ج2، ص 1768.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

ركعة، فمضى، فافتتح النساء...<sup>1</sup>، وقال النووي: قال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: «فيه دليل لمن يقول أن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصاحف، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي(ص) بل وكله إلى أمته بعده»<sup>2</sup>، ذلك أنه قرأ سورة النساء قبل سورة آل عمران، وأن ما عليه المصحف، إنما سورة آل عمران تسبق النساء في الترتيب، وهذا دليل على عدم التزامه ﷺ بهذا الترتيب.

**ثانيا:** يستدلون باختلاف مصاحف السلف، في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على حسب تاريخ النزول، وهو مصحف علي رضي الله عنه، وكان أوله: إقرأ ثم نون، ثم المزمّل فالمدثر... ثم بقية المكّي والمدني، وكان أول مصحف عبد الله بن مسعود البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، وكذا مصحف أبي بن كعب، وهي على اختلاف كبير في الترتيب، وهذا الاختلاف الشديد بين المصاحف دليل على أنه لم يُنقل عن النبي ﷺ ترتيب معين، وإلا لما ساغ لهم أن يخرجوا عنه، وقد اكتفينا بإيراد هذين الدليلين، أو الحججتين، لأنهما أهم ما استند إليه أصحاب هذا الرأي.

### القائلون بالتوقيف:

ويرى فريق من العلماء أن حال السور كحال الآيات، فهي بتوقيف من النبي ﷺ، وبأمره، وأوردوا أيضا أدلة على ذلك سنورها بعد قليل، ومن العلماء الذين قالوا بتوقيفية ترتيب السور:

<sup>1</sup> - سبق تخريجه.

<sup>2</sup> - أحمد يوسف القاسم: الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 259.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

## 1- أبو بكر الأنباري<sup>1</sup>: إذ يقول في هذا الصدد: «.. وأنزل الله القرآن كله من

السماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر حدث، والآية جوابا لمستخبر، أو لمستجير، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية، أو السورة، فاتساق السور كاتساق الآيات، والحروف، كله عن النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو آخرها، فقد أفسد نظم القرآن»<sup>2</sup> والكلام واضح لا يحتاج إلى تعليق.

## 2/ أبو جعفر النحاس<sup>3</sup>: حيث يرى أن تأليف السور على هذا الترتيب هو من

رسول الله ﷺ، واستند في ذلك إلى حديث واثلة المرفوع، والذي نصه كالتالي: قال رسول الله ﷺ: ﴿أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت

<sup>1</sup> - هو الحافظ العلامة شيخ الأدب أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي، سمع من أبي العباس الكديمي، وإسماعيل القاضي، وأحمد بن الهيثم البزار، له تصانيف كثيرة، وكان يروي بأسانيده، ويملي من حفظه، صنف في القراءات والغريب، والمشكل والوقف، والابتداء، وحدث عنه أبو عمر بن حيوية، والدارقطني، توفي ليلة عيد النحر ببغداد سنة: 328هـ، وله من العمر سبعة وخمسون سنة. انظر: - الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص 844.

<sup>2</sup> - أنظر: الزركشي: البرهان، ج1، ص 260، و- السيوطي، الإتقان، ص 165، و- تفسير القرطبي، ج1، ص 60، و- التذكار في أفضل الأذكار: ص 29/28.

<sup>3</sup> - هو أبو جعفر أحمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن ترجمة أبو جعفر بن الزجاج، وكان ينظر في زمانه بابن الأنباري وبنفطويه، حدث عن محمد بن جعفر وبكر بن سهل، والحافظ النسائي، وغيرهم، وروى عنه أبو بكر محمد بن علي الأدفوي..، ومن كتبه: "إعراب القرآن" و"اشتقاق الأسماء الحسنی" وتفسير أبيات سيبويه، وكتاب: "المعاني"، و"الكافي في النحو"، و"الناسخ والمنسوخ" مات غريقا في النيل في ذي الحجة سنة: 333هـ، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1، ص 231.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل<sup>1</sup>، ثم علق على هذا الحديث، فقال: «وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ، وأنه مؤلف منذ ذلك الوقت، وإنما جُمع في المصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن»<sup>2</sup>.

3/ القاضي أبو بكر الباقلاني: وهو الآخر في كتابه: "الانتصار" حيث نقل عنه السيوطي قوله: «لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقدم فيه ولا تأخير»<sup>3</sup>، ويقول أيضا: «من أفسد نظم القرآن فقد كفر به»<sup>4</sup>، وحتى قول مالك وهو من القائلين بالاجتهاد، فيه شيء يوحي بأن الحجة مقامة على من قال بهذا الرأي -الاجتهاد- حيث قال: «إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله»<sup>5</sup>، وهو شامل للآيات والسور جميعا.

---

<sup>1</sup> - رواه أحمد في المسند: ج 4 برقم: (107)، والطبراني في المعجم الكبير ج 21، برقم: (187/176)،

وج 22، برقم (76/75)، والطبائسي برقم: (1012)، وفي مسند الشاميين، برقم: (2732).

<sup>2</sup> - يوسف القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 189. و- الزركشي: البرهان، (مصدر سابق)، ج 3، ص 258.

<sup>3</sup> - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 189.

<sup>4</sup> - يوسف القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 264.

<sup>5</sup> - سبقت الإشارة إليه.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

4/ ابن الحصار<sup>1</sup>: لا يتعد هذا الأخير عن أصحاب هذا الرأي؛ بل إنه كان واضحا ومتيقنا أن هذا الرأي هو الصحيح، حيث قال: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها، إنما كان بالوحي، حيث كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب، هي تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»<sup>2</sup>

5/ ومنهم الطيبي<sup>3</sup>، وابن وهب<sup>4</sup> في جامعه، وابن أشتة في كتاب: "المصاحف"، والإمام البغوي<sup>5</sup> في شرح السنة، وبرهان الدين الكرمانى<sup>1</sup> في كتابه "البرهان في متشابه

<sup>1</sup> - هو الإمام مقرئ الوقت أبو جعفر أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الداني ثم المرسي الحصار، ولد في حدود سنة: 530هـ، تلا على أبي عبد الله بن سعيد، ورحل، وتلا بالسبع على أبي الحسن ابن هديل، ومن ابن النعمة ابن سعادة، تلا عليه محمد بن جوير، ومحمد بن محمد بن مشليون، مات في سفر 609هـ، وقال عنه ابن الزبير: «سمع في صغره من ابن الوليد ابن الدباغ، وجمع السبع على ابن سعيد». انظر: صلة الصلة لابن الزبير، ق26، ص52.

<sup>2</sup> - يوسف القاسم، المصدر نفسه، ص272.

<sup>3</sup> - هو ابن حمدان الطيبي المعروف بالصائغ، أحد المعيدين بالنظامية، ودرس بالثقية، وكان عارفا بالمذهب، والفرائض، والحساب، صنّف شرحا للثبية، ذكره ابن الساعي، توفي سنة: 624 هـ. أنظر البداية والنهاية: ج13، ص122.

<sup>4</sup> - هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري القرشي، مولاهم المصري، روى عن خلق منهم مالك، ويُعد من أصحابه، توفي سنة: 197هـ. انظر الديباج: ج1، ص413.

<sup>5</sup> - هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المفسر صاحب التصانيف، مثل: "شرح السنة" و"معالم التنزيل" و"المصابيح" وكتاب: "التهذيب" و"الجمع بين الصحيحين"... تفقه على يد شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد الروذي صاحب التعليقة....توفي بمرو الروذي مدينة من

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

القرآن" وغيرهم كثير، وكلهم يستدلون بأن القرآن كله قطع من اللوح المحفوظ، وهو بترتيب معين، ثم نزل منجما حسب الحوادث، ثم بعد ذلك أعيد في المصاحف على الترتيب الأول، وهذا لا يكون إلا بتوقيف من الله ورسوله، وما تعاهده الناس منذ عهد النبوة، من هذا الترتيب، ولم يجدوا لذلك مخالفا، وهو عمل النبي ﷺ، وتكراره لقراءة القرآن بنفس هذا الترتيب طوال حياته، وفي المناسبات، والأعياد، والجمع والجماعات، والتعليم وغيره، وما تعله الصحابة منه، وما نقلوه إلى التابعين من بعدهم... إلى يوم الناس هذا.

### القائلون بالتفصيل:

وهم الذين فصلوا في المسألة، وحاولوا أن يقفوا موقفا وسطا وهم كثير نذكر منهم:

1- ابن عطية الأندلسي<sup>2</sup>: إذ ذهب بالقول أن كثيرا من السور كان ترتيبها

معلوما في حياة النبي ﷺ

وذلك كسور السبع الطوال المبدوءة بسورة البقرة، ثم الحواميم، والمفصل، وأما ما سوى ذلك من سور فقد خولت الأمة بترتيبه بعد النبي (ص)<sup>3</sup>، حيث قال في مقدمة

---

مدن خراسان في شوال سنة: 615هـ، وعاش بضعا وسبعين سنة. انظر ترجمة الأعلام. الشبكة الإسلامية.

<sup>1</sup> - هو حسن بن إبراهيم الكرمانى قاضى كرمان، روى عن عاصم الأحول، وقال عنه صاحب المغني: كان ثقة، وقال أبو زرعة: لا يأمر به وقد خرج له الشيخان، وأبو داود، توفي سنة: 186هـ. انظر شذرات الذهب: ج1، ص 309.

<sup>2</sup> - هذا الرأي ذكره القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، في كتابه: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة1، دار الكتب العلمية، 1993م، بيروت، لبنان، ج1، ص 50.

<sup>3</sup> - أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ص 114.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

تفسيره: «وظاهر الآثار أن السبع الطوال، والحواميم، والمفصل، كان مرتبا زمن النبي، وكان في السور ما لم يرتب؛ فذلك الذي رُتب وقت الكتب»<sup>1</sup>.

**2- البيهقي<sup>2</sup>:** حيث يقول في المدخل: «كان القرآن على عهد النبي ص مرتبا سورة وآياته على هذا الترتيب: الأنفال، ورآءة، لحديث ابن عباس، قال: قلت لعثمان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال...»<sup>3</sup>، وهذا يدل على بعض السور كان مرتبا لاكل السور.

**3- أبو جعفر ابن الزبير:** حيث يفصح عن رأيه المؤيد لابن عطية الأندلسي، فيقول: «وظاهر الآثار شاهدة بصحة ما نص عليه ابن عطية، ثم يبقى بعد ذلك قليل من السور يمكن أن يجري فيها الخلاف»<sup>4</sup> وخلاصة هذا الرأي أن هـ قد جاءت الآثار والأحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد أن كثيرا من ترتيب السور كان معروفا، معهودا في حياة النبي ﷺ منها أحاديث تكلمت عن السبع الطوال، والحواميم، والمئين والمفصل، والمثاني... مثل حديث أنه صلى الله عليه وسلم جمع الفصل في ركعة، وحديث البخاري: أن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿بني إسرائيل -الإسراء- والكهف ومريم وطه

<sup>1</sup> - ابن عطية، مقدمة التفسير، ص 50.

<sup>2</sup> - هو أحمد بن الحسين، بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي، له تصانيف مثيرة، ولد سنة: 384هـ، وكان أوجد أهل زمانه في الإتقان والحفظ، والفقه، وكان محدثا فقيها أصوليا، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، ألف: "السنن الكبرى"، و"نصوص الشافعي" في 10 مجلدات، و"السنن الصغير" و"الآثار والمدخل" و"الأدب" و"شعب الإيمان" و"دلائل النبوة"... توفي بنيسابور، ونقل تابوته إلى بيهق في جمادى الأولى، أنظر البداية والنهاية، لابن كثير، ج12، ص 94.

<sup>3</sup> - وقد سبق تخريجه.

<sup>4</sup> - ابن الزبير، البرهان في ترتيب سور القرآن، (مصدر سابق)، ص 185.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

والأنبياء - بهذا الترتيب - هن من العتاق الأول وهن من تلادي<sup>1</sup> ، ومنها حديث عائشة: ﴿حينما يؤوي النبي إلى فراشه فيقرأ وينفت في كفيه...﴾<sup>2</sup>.

وأما السيوطي فقد قال: «ينبغي القول بأن محل الخلاف إنما هو خاص بترتيب سور الأقسام الربعة، وأما نفس الأقسام من الطول<sup>3</sup>، ثم المثين<sup>4</sup>، ثم المثاني<sup>5</sup>، ثم المفصل<sup>6</sup>، فلا خلاف في ترتيبها إجمالاً، فهذا يقتضي القطع بأنه توقيفي، وأنه يدعي فيه الإجماع»<sup>7</sup>، ويبيّن هذا القول على ما تقدم من الأحاديث الصحيحة، وعلى حديث ابن عباس خاصة في الأنفال والتوبة، وأيضاً على أن المصاحف التي وقع فيها الاختلاف في الترتيب، اتفقت على هذا الترتيب، وكان اختلافها في ترتيب سور كل قسم، حيث قال: «فإذا تحرى ذلك أي من اتفاق المصاحف في ذلك القسم من الطوال والمثاني والمثين، ونظراً إلى محل

<sup>1</sup> - من العتاق الأول: يعني أول ما نزل، ومن تلادي: يعني من قدم ما حفظت وعلمت.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري: 121/2، (سبق تحريجه).

<sup>3</sup> - وهي السور الطويلة في القرآن، وتبدأ ب: البقرة، وآخرها التوبة، وقيل إلى براءة لأنهم كانوا يعدونها والتوبة سورة واحدة، لعدم فصلها بسملة، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، و(الأنفال+براءة).

<sup>4</sup> - سميت كذلك لأن كل سورة تزيد فيها على 100 آية، أو تقاربها، وهي التي تلي السبع الطوال.

<sup>5</sup> - سميت بالمثاني لشبهة الأخبار، والقصص فيها، وكذلك العبر والأمثال، فإنها كثيراً ما ترد في القرآن مشاة، وهي ما يلي المثين، وهي ما كانت السورة فيها أقل من مائة آية، وقد تطلق المثاني على الفاتحة، لقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾.

<sup>6</sup> - وهو قصار السور، وسميت بذلك لكثرة الفصول بين السور بالبسملة، وقيل لقلّة ما يرد فيها من منسوخ، وهو يبدأ من سورة "ق" وقيل غير ذلك - بلغت 12 قول - وتنتهي بآخر سورة منه وهي: "الناس".

<sup>7</sup> - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 162.



آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

الخلاف، فالمختار عندي في ذلك ما قاله البيهقي، وهو أن كل السور توقيفية، إلا الأنفال وبراءة<sup>1</sup>. والله أعلم.

### مناقشة الأقوال السابقة:

لقد سردنا آراء العلماء في ترتيب القرآن الكريم، ولاحظنا أنهم يتفقون، في ترتيب الآيات، ولكنهم يختلفون في ترتيب السور، وهل هو من قول النبي أم هو من فعله؟ إن كان القرطبي<sup>2</sup> يرى في الجامع لأحكام القرآن أن تأليف السور على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ<sup>3</sup>، فإن السيوطي يرى أن جمهور العلماء على الثاني<sup>4</sup>، وهو أن الترتيب اجتهاد من الصحابة، وبين الرأي الأول والثاني رأي آخر مفاده: أن جُلَّ الترتيب كان توقيفيا، وبعضه فيه اجتهاد، وهذا الموقف يتبنا الشيخ ابن الزبير والبيهقي.

وأما استدلال المخالفين بأن مصاحف الصحابة: علي، وابن مسعود أب وابن عباس... وغيرهم لم تكن على الولاء الذي رتب عليه عثمان مصحفه، وأن هذا الاختلاف يدل على أنه لم ينقل عن النبي ﷺ شيء فيه، وغلا ما ساغ لهم تجاوزه، فإن الاختلاف ليس دليلا على أنه ليس توقيفيا، فإن مصاحفهم لم تكن مصاحف تلاوة،

<sup>1</sup> - يوسف القاسم: الإعجاز البياني، [نقلا عن تناسق الدرر للسيوطي]، ص 48، ص 262.

<sup>2</sup> - هو عبد الرحمن بن مروان أبو المطرف الأنصاري القرطبي كان عالما في التفسير والأحكام بصيرا بالحديث، حافظا للرأي ورعا زاهدا مجاب الدعوة، وله معرفة باللغة العربية والأدب، صنف شرح الموطأ، ومختصر تفسير القرآن لابن سلام، وكتاب في الشرط، وروى عنه ابن عتاب، وابن عبد البر، وكان مولده سنة: 341هـ، ومات في رجب سنة: 413، انظر السيوطي، طبقات المفسرين، ص 64.

<sup>3</sup> - القرطبي، الجامع، ج 1، ص 60.

<sup>4</sup> - السيوطي، افتقان، ص 164.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميرايوي

بقدر ما هي مصاحف علم وتأويل، قصد بها ضبط وقائع معينة، فقد كُتِبَ فيها المنسوخ تلاوة، وبعض الأدعية كالقنوت، وتفسير بعض الآيات وغيرها.

ومن كلام اللجنة المؤلفة لوضع تقرير عن كتابة المصحف المرتل وهم السادة: الشيخ عبد الوهاب غزلان، والأستاذ أحمد السيد الكومي، والأستاذ محمد عبد الوهاب بحيري، لتقييم كتاب الأستاذ لبيب سعد (المصحف المرتل)، ص: 20 ما يلي: «أما الروايات التي ذكرها السيوطي لإثبات أن بعض الصحابة كان لهم مصاحف، خالفت مصحف عثمان، في ترتيب السور، فهي واردة في كتب لم يلزم مؤلفوها الصحة فيما يروونه فيها، وعلى فرض صحتها، فذلك كان قبل جمع عثمان بن عفان (ض)، الذي أجمع عليه الصحابة، وفيهم أصحاب هذه المصاحف، والتي أمرهم عثمان بحرقها، فأحرقوها، فلا يليق بعد هذا أن ينسب إليهم أنهم يخالفون مصحف عثمان، في ترتيب السور، أو بعضها»<sup>1</sup>.

وأما سبب الاختلاف هذا بين المصاحف في عهد النبي ﷺ إنما كان بسبب عدم جمع القرآن كاملاً بين دفتين أولاً، ثم إن الصحابي عندما يسمع سورة أو آيات نزلت على رسول الله ﷺ، فإنه يسارع لكتابتها، وحفظها، ولكن قد يفوته شيء لم يسمعه من النبي، فإذا حضر بعد ذلك، حَفِظَهُ، وكتبه خلاف لمن يسمع بعدن أو من سمع قبله، وقد كان الصحابة منشغولون بمعايشهم، ومسؤولياتهم الخاصة، والعامة، كالجهاد في سبيل الله وغيره، ولم يكونوا متفرغين لطلب العلم، وكانوا يتداولون على مجالس رسول الله ﷺ، كما حدث مع عمر وأحد الأنصار، إذ كانا يسكنان أعالي المدينة فكانوا يتناوبان عليه<sup>2</sup>، «ويأخذ منه

<sup>1</sup> - المصحف المرتل: ص 20.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، ج 1، ص 33.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

أن بعض الصحابة كانوا يتغيبون مجالس رسول الله جريا وراء متطلبات الحياة أو بسبب المرض أو الجهاد، أو غير ذلك، فإذا نزل القرآن في هذه الحالة، فلا يدري مقدمه، ومؤخره، وإن علم ذلك وقد كتبه على ما كان أولا، وترك تغييره على ما استقر عليه...، اعتمادا على حفظه، فلما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى، واحتيج إلى جمع القرآن، بين دفتين على ما انتهى عليه الأمر بعد العرضة الأخيرة، جمعه الصحابة على هذا، وأجمعوا على هذا الترتيب»<sup>1</sup>.

وأما من استدل بحديث حذيفة، وفيه أن سورة النساء كانت آنذاك مقدمة على آل عمران، فيتناول قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النساء أولا، ثم آل عمران، هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب<sup>2</sup>... ويقول السيوطي في هذا الصدد: «ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سورا ولا آية على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يُرد حديثه قراءته سورة النساء قبل آل عمران، لأن ترتيب السور في القرآن ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز»<sup>3</sup>، وكأن السيوطي يناقض ما ذهب إليه من القول بالاجتهاد، وهو الأقرب.

وفي حديث مسلم أيضا عن جابر أن معاذ صلى بالناس العشاء، وافتتح بالبقرة، وطول بأصحابه، وفيه أقبل رسول الله على معاذ فقال: ﴿أفتان أنت؟ إقرأ بكذا، واقراً بكذا﴾، فقال سفيان: قلت لعمرو: إن أبا الزبير حدثنا عن جابر أنه قال: ﴿إقرأ والشمس وضحاها، والضحى والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى﴾، فقال عمرو: نحو

<sup>1</sup> - القاسم، الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 273.

<sup>2</sup> - محي الدين النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر للطباعة والنشر: 1981م، (د، ط)، ج6، ص 62.

<sup>3</sup> - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 167.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

هذا<sup>1</sup>، وفي رواية أخرى عن جابر أيضا: ﴿إذا أمتت الناس فاقراً بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، وقرأ بسم ربك، والليل إذا يغشى﴾<sup>2</sup>، فإن هذه الأحاديث ونحوها لا تعكر صفو التوقيف، فإن ترتيب ابن مسعود لا وجود له، بعد أن أحرقت المصاحف، وإجماع الصحابة على مصحف عثمان، ثم إن ذلك إن ويُجد فقد كان قبل العرضة الأخيرة التي رُتب عليها المصحف العثماني.

وقد كان النبي يختم القرآن كل سبعة أيام ونهى عن أقل من ذلك، وكيف يختمه إن لم يكن مرتبا بحسب ما رتبه له جبريل عليه السلام، ثم إن عثمان بن عفان كان يختم القرآن كله، وقد أخذه عن رسول الله حفظا وترتيبا، حتى روي عنه أنه كان يختم القرآن في ركعة واحدة، وكان الصحابة يحزّبون القرآن ثلاث، سورة وخمس، سورة وسبع، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من "ق" حتى الختام<sup>3</sup>، وحينئذ فلو عددنا 48 سورة كانت التي تليهن "ق" وهذا هو حزب المفصل حتى نهاية السور الكريمة، وهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصاحف كان على عهد رسول الله عليه السلام<sup>4</sup>، وقال الزركشي: «لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم:

- إحداها: بحسب الحروف في الحواميم.

<sup>1</sup> - النووي على مسلم، (مصدر سابق)، ج4، ص 181.

<sup>2</sup> - ابن علي الشوكاني: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، دار الفكر للطباعة، بيروت، (د،ط)، ج2، ص 237.

<sup>3</sup> - الفتح الرباني: على مسند الإمام أحمد، للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، ط1، 1953 هـ ص 18-28-29.

<sup>4</sup> - يوسف القاسم: الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 278.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميرايوي

- ثانيها: موافقة أول السورة لآخرها قبلها، كآخر الحمد في المعنى، وأول البقرة.

- ثالثها: في اللفظ كآخر تبت يدا، وأول الإخلاص.

- رابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة أخرى مثل الضحى والشرح<sup>1</sup>

### الترجيح:

لقد عرضنا فيما سبق أقوال العلماء وآرائهم في ترتيب المصحف، وخاصة السور، لأن ترتيب الآيات محل اتفاق بينهم، ثم عرضنا أدلة كل فريق، وناقشناها في ضوء ما توفر لنا من فهم ووعي وتوجيه لأدلتهم، وترجيح لآرائهم، وها نحن نخلص الآن إلى ترجيح أسد الأقوال، وأقواها أملين أن نخطى بالصواب، وراجين من الله أن نقف على قناعة كاملة في هذا الموضوع.

يقول يوسف القاسمي: «... بل الجمهور على الأول -يعني التوقيف- والأدلة تبين ذلك، حتى ما استدل به المخالف لا يستقيم، وإجماع الصحابة، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما، ولم يدع لهم مجالاً لأدنى وهم، بأن صرح لهم النبي ﷺ، بمواضع السور، أو رمز إليهم بذلك..»<sup>2</sup>، ونستأنس بقول الألويسي في توجيه هذا الرأي في قوله: «فلا بد من التصريح بمواضع الآي، والسور، إما من الرمز إليهم بذلك، وإما بإجماع الصحابة على هذا الترتيب، وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب -وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصددهم عن إتباع الحق لومة لائم، ولا قول قائل-

<sup>1</sup> - الزركشي: البرهان، (مصدر سابق)، ج1، ص 260.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، ص 286.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع لهم تخيلا ولا وهما<sup>1</sup>، ويرى الزركشي أن الخلاف يعود للفظ، لأن القائل بالاجتهاد يقول إنه رمز إليهم بذلك، لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: «إنما ألفوه على ما سمعوه منه ﷺ»<sup>2</sup>، ويعني الزركشي أن الصحابة لم يسمعوا نصا صريحا في الشكل، فقد علموا من أحواله ﷺ ما أفادهم في ترتيب، ما لا نص فيه، وهذا هو معنى قول القائل بالاجتهاد، فالأخذ برمزه وإشارته ﷺ، لا ينافي عدم التصريح بالترتيب، ولكن هل الأمر كذلك؟<sup>3</sup>

ويقول الدكتور يوسف القاسمي: أنه لا خلاف بين القائلين بالاجتهاد والقائلين بالتوقيف، وبعد هذا يبقى الكلام في الترتيب بالرمز والإشارة هل هو من باب الاجتهاد أو التوقيف؟<sup>4</sup>

ولا شك أن فعل النبي ﷺ وتقريره وكلامه هو من باب التصريح، لا من باب الرمز والإشارة، فإن صح عنه شيء من هذا دخل حيز التوقيف، ولن تجد أبدا سورة من سور القرآن، إلا وهي موضوعة في مكانها الذي وضعها فيه رسول الله ﷺ، وقد نقل الصحابة ذلك من قراءته وتعليمه، وأحواله كلها في الصلوات أو في غيرها، ووقع إجماعهم على ترتيب المصحف على ما هو عليه اليوم، ولا يجمعون إلا على مستند صحيح، صريح، وإذ قال ابن الزبير: «...فكيفما دار الأمر فمنه ﷺ عرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه

<sup>1</sup> - أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

والسبع المثاني، دار الفكر، طبعة: 1983م، بيروت، لبنان، ج1، المقدمة، ص 27.

<sup>2</sup> - ابن الزبير، البرهان، (مصدر سابق)، ص 182.

<sup>3</sup> - الإعجاز البياني، (مصدر سابق)، ص 270.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، والصفحة أيضا.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

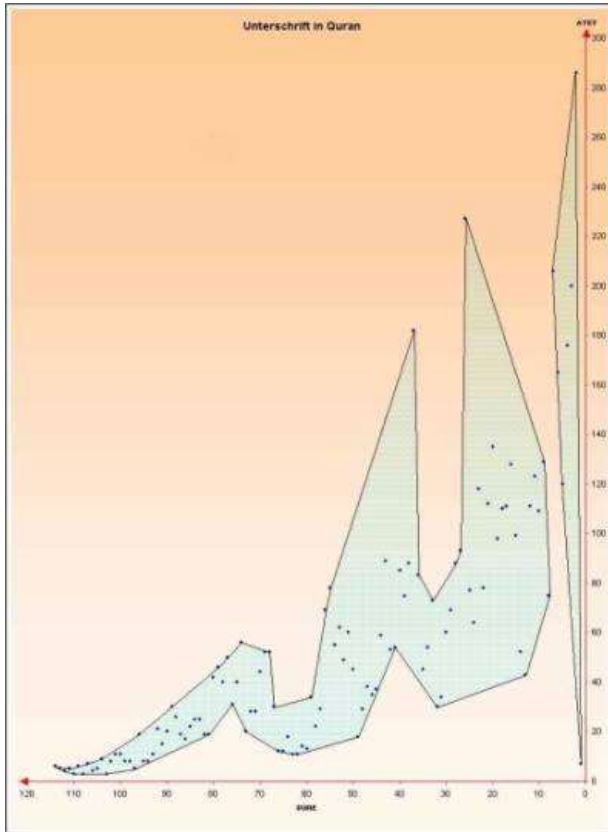
بنو جليل ذلك النظر»<sup>1</sup>، ويجيب أيضا ابن الزبير عن السؤال السابق بأن هذه الآثار إنما وقعت بفعل، لا بقول، وأمر يحصل منه التوقيف<sup>2</sup>.

والقول الراجح من ناحية إعمال الأدلة، وتوجيهها، وعلى ضوء فهمها، وهو أن سور القرآن الكريم كلها توقيفية، بأمر رسول الله ﷺ، وحتى سورتي الأنفال والتوبة، كما بينا في موضعه عند حديث عثمان لما سأله ابن عباس، فأجاب: وقد قبض رسول الله دون أن يبين إن كانت براءة تابعة للأنفال، وفي ذلك، دلالة على أن النبي ﷺ، كان قد بين ترتيب كل سور القرآن، لأن سؤال ابن عباس، لم يكن عن الترتيب؛ بل عن الفصل، بين السورتين بالبسملة، هل هي منها؟ يعني من نفس السورة أم تعتبر سورة مستقلة لوحدها؟ وهذا لا يقدح أبدا في هذه المسألة من جهة، ومن جهة أخرى فإن الذي تطمأن إليه القلوب، وتركن إليه النفوس، أن مثل هذه القضية، لا ينبغي أن تناط بالصحابة، إذ أن ترتيب السور، أمر من الأهمية بما كان، ذلك لارتباطه بمسألة النظم والإعجاز القرآني، فلا ينبغي لأحد كائن من كان، أن يمس نظم القرآن الكريم وترتيبه. والله أعلم.

وهذا مخطط بياني يساعد على اختيار الرأي الصحيح:

<sup>1</sup> - ابن الزبير، البرهان، (مصدر سابق)، ص 183.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 187.



مخطط بياني يمثل أرقام سور القرآن وعدد آياتها، والنتيجة لا يتوقعها أحد: لفظ

الجلالة: الله



## المبحث الثاني: الترتيب النزولي للقرآن الكريم

معلوم أن القرآن الكريم قد كتب في اللوح المحفوظ منذ الأزل، إلى أن أرادت مشيئة الله أن يكون آخر ما ينزل من كلام الله تعالى إلى الأرض، مع مجيء محمد رسول الله(ص)، آخر نبي للبشر، فقطع من اللوح المحفوظ في السماء السابعة، وأنزل جملة واحدة إلى بيت العزة في سماء الدنيا، في ليلة هي خير من ألف شهر في السابع والعشرين من شهر رمضان، ثم نزل بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الوقائع والمناسبات في ثلاث وعشرين سنة<sup>1</sup> وكانت بداية نزوله يوم الاثنين عام ست مائة وعشرة ميلادي على رسول الله في غار حراء، وأول ما نزل منه قول تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>2</sup>، قال ابن عاشور: ونزل القرآن نجوما بحسب أسباب النزول، التي تعتبر حوادث يُروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها، أو لبيان حكمها، أو لحكايتها، أو إنكارها، أو نحو ذلك<sup>3</sup>، وقد اهتم الصحابة رضي الله عنهم ببيان زمان، ومكان نزول الآيات، وأين؟ وبسبب ماذا؟ فقد كان ابن مسعود قلم الوحي يقول: «سلوني ما بدا لكم فما من آية نزلت إلا أعلم في من نزلت وأين نزلت»<sup>4</sup>، وقال بن عباس رضي الله عنهما: «سألت أبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة فقال نزلت بها سبعة وعشرون سورة، وسائرهما بمكة»<sup>5</sup>، وقال ابن

<sup>1</sup> - انظر مختصر ابن كثير، محمد علي الصابوني، قصر البليدة، دار الشهاب 1990، ج3، ص 659.

<sup>2</sup> - سورة العلق، الآية 1.

<sup>3</sup> - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1998م، المقدمة الخامسة، ج1، ص 46.

<sup>4</sup> - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زوملي، دار الكتاب العربي، 2004م، بيروت، ص 37.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 35

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

العربي في كتابه الناسخ والمنسوخ: «الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكيًا ومدنيًا، وسفريًا وحضريًا، وليليًا ونهاريًا، وسمائيًا وأرضيًا، وما بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار»<sup>1</sup>، وكلما نزلت آيات إلا بادر الصحابة بكتابتها في موضعها بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من عند أنفسهم، فلقد عاشوا زمان نزوله؛ فهم أعلم الناس به، وأضبطهم له من ناحية ترتيبه، وتحصيله في الرقاع، وفي الصدور، ولقد اهتم العلماء بضوابط القرآن المكي والمدني، ومنهم من أفرد بمصنفات، وتتبعوا مواطن نزوله وترتيبه وزمن وروده<sup>2</sup>... الخ.

وقد أورد السيوطي في الإتقان، والزركشي في البرهان ترتيب السور حسب زمن نزولها فكان أولها: اقرأ باسم ربك، ثم ن، ثم القلم، ثم المزمل، فالمدثر، فالمسد، ثم سورة التكويد، ثم سبح، ثم والليل، ثم ألم نشرح لك، ثم سورة العصر، العاديات، الكوثر، أهاكم، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الصمد، النجم، عبس، الشمس، البروج، التين، يس، الفرقان، الملائكة، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، الإسراء، يونس، هود، يوسف، الحجرات، الأنعام، الصافات، لقمان، سبأ، الزمر، الأحقاف، الذاريات، الغاشية، الكهف، النحل، ثم إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، الطور، الملك، الحاقة، سال سائل، عم، والنازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، المطرفين، كل هذه بمكة.

<sup>1</sup> - الناسخ والمنسوخ لابن العربي.

<sup>2</sup> - منهم: مكّي والعزّ الدريني: وهو عبد الله بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدريني الشافعي، أبو محمد، ولد سنة 612هـ، وتوفي سنة 694هـ، من مؤلفاته: "المصباح المنير في علم التفسير"، و"طهارة القلوب" و"الخضوع لعلام الغيوب"، وغيرها. انظر شذرات الذهب، ج5، ص 450، ومعجم المؤلفين، ج5، ص 241.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

ثم أنزل بعد الحجر، البقرة والأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، محمد، الرعد، الرحمن، الإنسان، الطلاق، البينة، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، الجمعة، التغابن، الصف، الفتح، المائدة، براءة، وهذا ما نزل بالمدينة<sup>1</sup>.

واختلفوا في نزول الفاتحة، وويل للمطففين، فمنهم من قال بمكة، ومنهم من قال بالمدينة<sup>2</sup>.

ومن المواقف التي أعجبتني في هذا الصدد، موقف سيد قطب رحمه الله تعالى، حيث كانت لديه فكرة إمكانية ترتيب القرآن الكريم حسب زمن النزول، وتفسيره على هذا المنوال، لكنه تراجع عن ذلك في آخر الأمر، وهو بذلك يتفق مع جمهور العلماء من المفسرين، والباحثين في علوم القرآن، بأن ترتيب الآيات في السور ليس على أساس زمن النزول ولا مكانه، إنما هو ترتيب توقيفي؛ أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم أمر الصحابة بذلك فالتزموا بأمره في كتابتهم القرآن وجمعه.

ولقد جاء في كتاب المنهج الحركي لعبد الفتاح الخالدي: «أما ترتيب السور في المصحف فيبدو أن سيد قطب قد اقتنع بعد تجربته في عرضه للسور في كتابه "مشاهد القيامة في القرآن" حسب النزول، باستحالة الجزم بالترتيب على هذا الأساس، وبخطورة الآراء التي تنتج عن ذلك بمخالفة ذلك لاتفاق المسلمين منذ زمن عثمان إلى العصر الحديث»<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 38.

<sup>2</sup> - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 194.

<sup>3</sup> - صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ج2، ص311.

وفي ذلك يقول سيد قطب في تقديمه لسورة الأنفال: «إن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع فيه الآن بشيء - اللهم من ناحية أن هذا قرآن مكّي وهذا مدني على وجه الإجمال، على ما في هذا من خلافات قليلة- فأما الترتيب الزمني المقطوع به من ناحية زمن النزول، كل آية أو كل مجموعة من الآيات أو كل سورة فيكاد يكون متعذرا»<sup>1</sup>، بحيث لم تثبت فيه روايات وآثار صحيحة إلا نادرا، كما جاء على لسانه قوله: «ولا يكاد يجد الإنسان فيه اليوم شيئا مستيقنا إلا في آيات معدودات تتوافر بشأنها الأحاديث، أو تقطع بشأنها بعض الروايات...»<sup>2</sup>.

ورغم أن سيد قطب قد أبدى رأيه في أهمية هذا الترتيب، فإنه تمني لو أن الصحابة نقلوه وأثبتوه لما له من أثر ودلالة حركية تربوية، ومنهجية، حيث يمكن تصور منهج الحركة الإسلامية، ومراحلها وخطواتها، ولأن قلة اليقين في هذا الترتيب تجعل الأمر شاقا، كما أنها تجعل النتائج التي يتوصل إليها تقريبية، وليست نهائية قطعية<sup>3</sup>.

وترتيب السور في القرآن إنما هو بتوقيف من الله تعالى على الرغم من نزول آيات السور في فترة زمنية طويلة، ولمناسبات، وأسباب، وملابسات شتى، فنزول الآيات شيء، وترتيبها في السور شيء آخر، ويستدل على ذلك ببعض الآثار والروايات... ويرى سيد قطب أيضا أن ترتيب السور ليس على أساس النزول إذ لا يعني وجود سورتين متواليتين في المصحف نزولهما متتابعتين؛ بل بينها فترة زمنية متطاولة، وأصدق مثال على ذلك ما قاله عن سورة الفيل وقريش في خاتمة تفسير السورة بأن: «..وهذه السورة تبدو امتدادا

<sup>1</sup> - سيد قطب، تفسير الظلال، الطبعة 10، دار الشروق، 1982م، القاهرة، ج3، ص 1429.

<sup>2</sup> - الخالدي، المنهج، (مصدر سابق)، ص 312.

<sup>3</sup> - سيد قطب، مقدمة الظلال.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراي

لسورة الفيل قبلها من ناحية موضوعها وجوّها، وإن كانت مستقلة مبدوءة بالبسملة، والروايات تذكر أنه يفصل بينها وبين سورة الفيل تسع سور، ولكن ترتيبها في المصحف متواليتين يتفق مع موضوعهما القريب»<sup>1</sup>، وما يقوله بعض العلماء السابقين في ترتيب سور القرآن حسب نزولها ليس يقينا، فإنهم يرتبون السور حسب نزولها، ومنهم الإمام محمد بن شهاب الدين الزهري<sup>2</sup> في كتابه: "تنزيل القرآن".

ولما طبع المصحف في المطبعة الأميرية ببولاق مصر- أشاروا في التعريف بالسور إلى ترتيبها حسب النزول، الفاتحة نزلت بعد المدثر، وآل عمران بعد الأنفال، والنساء بعد الممتحنة، والمائدة بعد الفتح، والأنعام بعد الحجر في مكة وهكذا...<sup>3</sup> ولو تتبعنا كل ما قاله العلماء في هذه المسألة لظال بنا المقام ولهذا اكتفينا بما قدمنا في هذا المبحث.

### المطلب الأول: حقيقة دعوى إعادة ترتيب القرآن حسب النزول.

لقد رتب القرآن الكريم على نمط فريد من نوعه، وعلى هندسة متقنة أرادها الله تعالى، فهو باب من أبواب إعجازه كما أسلفنا، وقد جاء هذا المعنى في كثير من الآثار نذكر منها:

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج6، ص 3183.

<sup>2</sup> - هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن الحارث بن عبد الله الزهري، الإمام العالم، أبو بكر القرشي المدني، نزيل الشام، روى عن ابن عمر، وجابر، وكان مولده سنة 50 أو 51هـ، وتوفي سنة 124، وهو ابن 72 سنة في 17 رمضان منها، وكان موته بأدما بأعمال فلسطين. انظر أعلام الموقعين.

<sup>3</sup> - رسالتين لابن الأبار وابن تيمية في سلسلة رسائل ونصوص، رقم3، دار الكتب الجديدة، عام:

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

- قال محمد بن سيرين<sup>1</sup> لعكرمة<sup>2</sup> أيام الجمع الأول للقرآن: «ألفوه كما أنزل الأول فالأول، فقال عكرمة: لو اجتمع الإنس والجن على أن يألفوه ذلك التأليف ما استطاعوا»<sup>3</sup>، وقد ألف الصحابة مصاحف خاصة بهم، مرتبة ترتيبات مختلفة، ومحشوة بالقراءات الشاذة، وبعض التفسيرات، ولكن سرعان ما عادت الأمة، واجتمعت على مصحف واحد، ضاربة بعرض الحائط كل ما خالفه في شاردة أو واردة، وتم حرق المصاحف الأخرى، وانتهى الأمر على ذلك، وأذعن كل الناس لمصحف عثمان، واعتمده دون أي اعتراض.

- كما أن تفسير بعض العلماء<sup>4</sup> لبعض أجزاء القرآن ليس دعوة إلى إعادة ترتيب المصحف وإن كان منهم من ادعى ذلك كما سنرى، وعلى رأسهم يوسف راشد، ومحمد

---

<sup>1</sup> - هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري، ولد سنة (33هـ/653م)، فعمل بها جزارا، وكان في أدنه صمم، مع ذلك تفقه ودرس الحديث، وكان من المحدثين التابعين المشهورين، وقد عاصر حسن البصري، واشتهر بتعبير الرؤيا، وحجة في تفسير الأحلام.

<sup>2</sup> - هو عكرمة الحبر العالم أبو عبد الله البربري، ثم المدني الهاشمي، مولى بن عباس، روى عن مولاه، وعن عائشة، وعن أبي هريرة، وعقبة بن عامر، وأبي سعيد، وغيرهم، وحدث عنه خلق كبير، منهم أيوب، وأبو بشر، وعاصم الأحول، وثور بن زيد، ومخالد الخداء، قال ابن خلد: «إذا قدم عكرمة البصرة أمسك الحسن عن الفتيا والتفسير» توفي سنة 107هـ بالمدينة، انظر تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج1، ص 95.

<sup>3</sup> - السيوطي، الإتقان، (مصدر سابق)، ص 155.

<sup>4</sup> - من القدماء ابن تيمية، وهشام الكلبي، ومن المحدثين: محمد عبده، وعبد الحميد بن باديس، والدكتور بنت الشاطي، والمراغي، وأبو الأعلى المودودي، وأمين الخولي، ومحمد عزت دروزة، وأسد أحمد علي وغيرهم.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

عزت دروزة الذي توسع في هذه الدعوى؛ وبالفعل فقد أنجز تفسيراً على الترتيب النزولي، وكذلك عائشة بنت عبد الرحمن، معززين رأيهم بأن: «التفسير ليس مصحفاً مرتلاً، وإنما هو عمل فني مستقل ليس له علاقة بقدسية ترتيب المصحف»<sup>1</sup>.

وقد اعتمد أصحاب هذه الدعوى إلى فتوتين:

**إحداهما:** لفتي سوريا الشيخ أبو اليسر عابدين، ونصها: «ليس التفسير بقرآن يُتلى، حتى يُراع فيه ترتيب الآيات، والسور، فقد يمكن للمفسر أن يفسر آية، ثم يترك ما بجانبها لظهور معناها، وقد يفسر سورة، ثم يترك ما بعدها اعتماداً على فهم التالي، ولا مانع من تأليف تفسير على الشكل المذكور، والله أعلم».

**والأخرى:** لعبد الفتاح أبو غدة، جاء فيها: «إن شبهة المنع لهذه الطريقة، آتية من جهة أنها طريقة تخالف ما عليه المصحف الشريف، ودفعها أن المنع يثبت فيما فيها لو كان هذا الصنيع سلوكاً من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفاً للتلاوة... ويستأنس لسواغية هذه الطريقة بما سلكه أجلة من علماء الأمة المشهود لهم بالإمامة والقدوة من المتقدمين في تأليفهم، ولم يعلم أن أحداً أنكر عليهم ما صنعوا»<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: تفسير ورد هذه الشبهة.

لقد عمل أعداء الدين قديماً وحديثاً على بث سمومهم ونفثها في عقيدة هذه الأمة، وعلى إيجاد أي ثغرة وأي مدخلا يشككون من خلاله في دين الله عز وجل، ولم يزل المستشرقون كلما سنحت لهم الفرصة لذلك ليشوهوا نور الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ولا شك أنهم يريدون دائماً ضرب أصول الدين،

<sup>1</sup> - عزت دروزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، ط 1962م، مصر، المقدمة: ص 9.

<sup>2</sup> - عزت دروزة، مقدمة التفسير: ص 711.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

ولا سيما إذا كان هو المصدر الأول للتشريع مثل القرآن الكريم، ولكن الله تواعد بحفظه، وأنجز وعده للمؤمنين، بأن حفظه إلى يوم الناس هذا، وقد كتب الغريون<sup>1</sup> حول القرآن، والحديث، والعقيدة، والشريعة، كل هذا من أجل زعزعت إيمان المؤمنين، وإدخال الشك والريبة في قلوبهم.

ومن بين هذه الشبه التي ينسبونها إلى القرآن الكريم؛ شبهة تعارض هذا الأخير مع بعض مصاحف الصحابة، التي رُتب بعضها على الترتيب النزولي، وللأسف الشديد أننا نجد بعضا ممن يدعون الاجتهاد، ويُحسبون على أنهم من المفكرين الإسلاميين، ينساق وينجر خلف هته الفكرة، إما عن حسن نية، أو لتأثره بالدراسات الشرقية عموما وبالالتجاهات، والمناهج الحديثة.

وعندما كنت أتصفح كتاب: "حصاد قلم" للدكتور محمد عبد الله دراز، وقعت عيناى على مبحث سماه صاحبه: "النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله" فأعجبني ذلك النقد، والذي أفاض فيه صاحبه، وغاص إلى أعماق هذه الدعوى، حتى أصوها مزلزلا كل أساس بُنيت عليه بطريقة علمية فنية، فتتبعته بدوري، وحاولت أن أخلص ما جاء فيه، وأضفت إليه ما أراه يخدم هذا الموضوع، عسى أن أكون قد ألمت، وسهلت الوصول إلى هذا المعنى في وريقات قليلة.

وفي الحقيقة أن هذا الكلام الذي لخصته؛ هو رد على رسالة من الأزهر الشريف، كتبها يوسف راشد (بوزارة العدل المصرية) في مجلة الأزهر لشهر رمضان سنة

---

<sup>1</sup> - من هؤلاء المستشرقون: نولدكه، صاحب كتاب: "المصاحف"، وبلاشير الفرنسي صاحب كتاب: "القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره، وهوير الألماني، وآرثر جفري مؤلف كتاب: "المصاحف العثمانية" وغيرهم.



آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

(1370هـ/1950م)، مجلد 22، وهاك أخي القارئ جزءا من نص هذه الدعوى، ثم بعد ذلك التعقيب عليها.

«...إن ترتيب القرآن في وضعه الحالي يبلبل الأفكار، ويضيع الفائدة من تنزيل القرآن، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي، الذي روعي في النزول، ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة، لأن القارئ إذا انتقل من سورة مكية إلى سورة مدنية، اصطدم صدمة عنيفة، وانتقل بدون تمهيد، إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه، وصار كذلك ينتقل من درس في الحروف الأبجدية إلى درس في البلاغة...»<sup>1</sup>.

إن القارئ عندما يرى مثل هذا الكلام ينبهر ويتعجب منه ولا يشك طرفة عين بأن قائله لا يكون إلا أحد المستشرقين الذين يُعرفون بمثل هذه الخرجات الغربية، وهذه الترهات التي أقل ما يقال فيها أنها مجرد تخمينات لا أساس لها من الناحية العلمية، ولا من الناحية الواقعية، هذا بالنسبة للقارئ البسيط فضلا عن العالم المدقق المحقق، فرما يرى فيها شيئا آخر؛ الله أعلم كيف يكون موقفه، وحكمه على مثل هذه الأفكار، وأصحابها.

يقول عبد الله دراز: «أول ما نلاحظه أن هذه المقدمات لو صحت<sup>2</sup>، كان يجب أن تؤدي إلى نتيجة غير التي يدعو إليها الكاتب، لأنه كان يلزم بمقتضى استدلاله ألا يُعاد ترتيب السور فحسب؛ بل أن تنثر نجوم القرآن كلها، سواء كانت سورا، أو مجموعة آيات، وترتب حسب نزولها المكّي قبل المدني، والمتقدم عن المتأخر، حتى تُراعى في ذلك

---

<sup>1</sup> - مقال النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله، عبد الله دراز، مجلة الأزهر، رئيس التحرير: محمد فريد وجدي بك، تحت إدارة ديوان الإدارة للأزهر، والمعاهد الدينية، بالقاهرة، مطبعة الأزهر 1950م، المجلد 22، ص 784.

<sup>2</sup> - لا يقصد نسبتها، بل معناها.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميرايوي

المراحل التاريخية لنزوله: فهل تصور هذا الكاتب كيف يكون جمال المصحف الشريف حينئذ؟ رغم أنه لم يتجرأ في دعواه إلى ذلك (تغيير الآيات) لأن الحجة مقامة، والبرهان والدليل موجود، واعترافه أيضاً بذلك على أن ترتيب الآيات أمر توقيفي كما رأينا سابقاً. واعترافه هذا قد أوقعه في مأزقين:

**الأول:** قد علم أن ترتيب الآيات لم يراعى فيه التسلسل التاريخي للأحداث؛ بل روعي فيه أمراً آخر؛ لأن جبريل عليه السلام كان يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، بوضع آيات مكيات بجوار آيات مدنيات، والمسألة أهون في ترتيب السور الغير متجانسة منه في ترتيب آيات متجاورات ليست من نفس اللون.

**والآخر:** كما لو أنه دقق في مسألة ترتيب السور لخرج برأي، ربما يكون أقرب للأول، وهو القول بتوقيفية معظم سور القرآن، إلا بعض المواضع التي لم يصل الدليل على ترتيبها، كما هو الشأن في وصل سورة براءة بالأنفال بدون بسملة، وهو من فعل رسول الله وفعّل الصحابة من بعده<sup>1</sup>، حيث أن الرجل يمنع من تغيير نظام الآيات في السور لأنه أمر توقيفي، وليس هو اجتهاد من الصحابة، ولهذا يجب احترام قدسية هذا الترتيب الذي ليس لأحد دخل في ترتيبه.

وأما قوله بأن الانتقال من السورة المكية إلى السورة المدنية يصدم القارئ صدمة عنيفة، ويدخله طفرة في جو غريب منقطع عن السياق [وكأني أتصوره ما إن يحمل كتاب الله ليقرأ فيه؛ حتى يُصدم تلك الصدمة العنيفة، ويخرج من جو إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه، فلا يمكنه بعد ذلك مواصلة القراءة في المصحف، فيتوقف، فهو على هذا النحو لا يقرأ كتاب الله أبداً، ولا يتدبر فيه، فضلاً عن شعوره بذلك الذوق الرفيع، وتلك

---

<sup>1</sup> - عبد الله دراز، حصاد قلم، ص 47.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

البلاغة العربية فيه، وتلك الآداب وأثرها في نفس القارئ، وسمو روحه ووجدانه، وبذلك قد فاته الشيء الكثير، فيقول الدكتور دراز ما ملخصه: «...إن كلمة "الصدمة العنيفة" و"الجو الغريب" ألفاظ فضفاضة يستعملها الكتاب ليؤثروا بها في نفوس القراء، هذا إن كانت معانيها صحيحة، فكيف لو كانت غير ذلك؟ ثم رأى هذا الكاتب أن هذا الكلام غير مقنع فضرب مثلا لذلك التنافر، وتلك الصدمة، وذلك الجو الغريب بوضع سورة محمد بعد سورة حم الأحقاف، فإن القارئ يشعر بذلك... ولم يضع يدنا على موضع المفارقة وبين وجه الانقطاع، والحقيقة أن هناك مناسبات رائعة بين تقابل هذه السورتين وخاصة بين صدر سورة محمد ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله...﴾<sup>1</sup>، و صدر سورة الأحقاف حتى قوله ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله...﴾<sup>2</sup>، من جهة، ومن جهة بين عجز سورة الأحقاف ﴿بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾<sup>3</sup>، وعجز سورة محمد ﴿... يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾<sup>4</sup>، ثم لينظر هذا التقابل بين البدايتين وهذا التوازن بين النهايتين، وهذا قمة في التناسق والانسجام، فإن ظنَّ حضرته أن مجرد ذكر القتال في سورة محمد، وعدم ذكره في سورة الأحقاف يباعد بين السورتين، قلنا له: ألم تر كيف وضعت في آخر سورة الأحقاف قنطرة مهّدت للعبور منها إلى هذا

<sup>1</sup> - سورة محمد: آية 01.

<sup>2</sup> - سورة الأحقاف، آية 05

<sup>3</sup> - سورة الأحقاف، آية 35.

<sup>4</sup> - سورة محمد، آية 38.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميرايوي

المعنى الجيد؟، فلقد كان الإنذار في إهلاك الفاسقين في آخر السورة توطئة للأمر بنوع من أنواع هذا الهلاك، في السورة التي تليها، وهو القتال في سبيل الله»<sup>1</sup>.

ثم انتقل إلى تنفيذ قوله: أن الوضع الحالي للسور محل بحكمة تدرج التشريع، فقد ضرب الدكتور دراز مثلا ماديا لذلك، بجلب سلعا لبناء بيتا لا يبالي بأن يشتري أجزاء العرش والسقف قبل الأسس والجدران، متتبعا في ذلك فرصة توفر الثمن وتوفر تلك السلعة في السوق، ثم بنا بيته، أكان ذلك مخلا بمهندسة ذلك البيت، وبالقياسات التي وضعها المهندس؟؟ كذلك كان القرآن الكريم ينزل بحسب الوقائع، ثم رتب حسب ذلك التصميم الذي أراه الله تعالى له فكان منسجما متكاملا آخذا بعين الاعتبار التدرج في التعليم والفهم، والانتقال من جو إلى جو تدريجيا إما تصاعديا أو تنازليا، حسبما تقتضيه الضرورة...<sup>2</sup>.

وبهذا يظهر بطلان هذه الدعوى الغير مؤسسة على أصول علمية، ولا على اجتهاد فيه نظر؛ بل إن الانسياق خلف مثل هذه الدعاوى خاصة إن لم تكن مبنية على أسس علمية قد توقعنا في شرك الجهل، والشك في مصادرنا الدينية، لا سيما ونحن نتعامل مع أقدس كتاب، وأفصح كلام وأبلغه، فضلا على أنه كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بل قد يؤدي ذلك إلى الرمي بوجه من أوجه إعجازه والمتمثل في أسرار ذلك الترتيب الذي رتب عليه، ولا ندري بعد ذلك أين يوصلنا ذلك الطريق، وما ينتج عن تتبع هذه الخطوات، فحسبنا أن نتوقف

<sup>1</sup> - عبد الله دراز، حصاد قلم، ص 48.

<sup>2</sup> - عبد الله دراز: حصاد قلم، تحقيق، أحمد مصطفى فضيلة، تقديم عبد الستار فتح الله سعيد، دار القلم، 2000م، القاهرة: ص 45 وما بعدها.

آراء العلماء في الترتيب المصحفي ----- أ.رياض عميراوي

فيما توقف فيه الأولون، وهم أعلم بأمر هذا الكتاب من ناحية الفهم والشكل، خاصة إذا كان الأمر توقيفياً فيه نص، فلا اجتهاد بعد ذلك، إلا فيما ترك فيه الأمر مفتوحاً لذلك، فلقد جاء في الحديث "أنه من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد"، ثم إننا لسنا مجبرين ولا مضطرين إلى القيام بهذه الخطوة لأن القرآن الكريم لم يضق ذرعاً بشرح أو تفسير أي موضوع من مواضيع الحياة، ولم يفرض في شيء نحن بحاجة إليه، سواء في المنهج أو الموضوع، فهو المعين الذي لا ينضب والنبع الصافي الذي لا يبخل بما فيه، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإلى أن ينقطع عطاؤه نبحت عن طريق آخر نتعامل

به فيه.